الرسالة إلى فلورا والكتابات الغنوصيّة

ترجم النصّ وقدّم له وعلّق عليه الخوري بولس الفغالي*

بين النصوص التي أوردها آباء الكنيسة، والتي ترتبط بالعالم الغنوصيّ، نقرأ الرسالة إلى فلورا. فهذه المسيحيّة اهتمّت بأصل الشريعة. فأرسل إليها بطليموس، أحد تلاميذ ولنطينس، مقالًا قصيرًا يقدّم فيه تفسير العهد القديم تفسيرًا مسيحيًّا. هذه الرسالة وصلت إلينا في اليونانيّة، في كتاب عن البرطقات لأبيفانيوس، أسقف سلامينة. قبل أن نقدّم ترجمتها إلى العربيّة، نتعرّف إلى المدرسة الغنوصيّة التي ارتبط بها بطليموس. وفي نهاية مقالنا، نحاول أن نتطرّق إلى الأفكار الرئيسيّة لهذه الرسالة التي كانت جزءًا من تأليف بطليموس حول تفسير الكتاب المقدّس.

١ – بطليموس، تلميذ ولنطينس

في القرن الثاني ب.م. برز تيّار فكريّ كانت له جذور بعيدة حتّى قبل المسيح[١]، ولكن نصوصه تعود إلى القرن الثاني ب.م. سواء ما ورد لدى آباء الكنيسة[٢]، أو ما وصل إلينا من وثائق اكتُشفت في نجع

(*) باحث في الكتاب المقدّس وآباء الكنيسة الشرقيّة.

(١) A. J. FESTUGIERE, *La révélation d'Hermès Trismegiste*, Paris, 1944-1954; A. D. NOCK, -A-J., FESTUGIERE, *Hermès Trismegiste. Texte établi et traduit*, Paris, 1959-1960.

(٢) نذكر على سبيل المثال في موشيات إكلمنضوس الإسكندراني (Stromates II, III, IV) من تيّار ولنطينس، وفي تفسير يوحنّا لأوريجانس، ما قاله هرقليون عن

حمادي[٣] (مصر)، سنة ١٩٤٥. إنَّه التيّار الغنوصيّ[٤] الذي كان ولنطينس[٥] أكبر شاهد له، فترك آثارًا في مختلف مناطق الإمبراطوريّة الرومانيّة (مصر، سورية، آسية الصغرى، إيطاليا، غالية أو فرنسا الحاليّة، إفريقيا الشماليّة)، منذ القرن الثاني حتّى القرن الخامس. ولكنَّ ذروته كانت في النصف الثاني من القرن الثاني وبداية القرن الثالث[٦].

أمّا الغنوصيّة فتيّار فلسفيّ وديني يستند إلى المعرفة الباطنيّة. هي معرفة تحمل الخلاص. موضوعها أسرار العالم الإلهيّ والكائنات السماويّة، ولا يصل إلى هذه الأسرار إلّا المتدرّجون. أمّا أساس الغنوصيّة ففصل بين الخلق والفداء. خُلق العالم المحسوس فبدا خاضعًا لقوى محدودة أو شرّيرة، بينها إله العهد القديم، إله الشعب اليهوديّ،

=الإنجيل الرابع. أمّا إيريناوس فأورد في كتابه ضدّ الهراطقة النصوص العديدة من العالم الغنوصيّ.

(٣) M. De MERODE, Nag Hammadi, *Dict. Enc. de la Bible* (Paris, 1987) p. 883-889. *Bibliothèque copte de Nag Hammadi, section Textes*, Québec, Louvain depuis 1977; D.M. SCHOLER. *Nag Hammadi, Bibliography*, 1971; *Nag Hammadi, Bibliography 1970-1982*, Leiden, 1983.

(٤) بولس الفغالي، الغنوصيّة أو العرفان، المسرّة ٨٤٧ (أيلول - تشرين الأوّل ٢٠٠٠)، ص ٦٦٥-٦٩١.

E. CORNELIS, Le Gnosticisme, *Dict. de spiritualité* t. 6 (Paris 1967), col 523-542; (cite DS6); R.M. GRANT. *Gnosticism and Early Christianity*, New-York, 1959; tr. Fr: *La gnose et les origines chrétiennes*, Paris, 1964; M. TARDIEU et P. HADOT, Gnostiques, *Encyclopaedia Universalis* t. 8 (1984) p. 654-656.

(٥) G. BARDY, «Valentin», *Dict. De théologie catholique*, T. 15 (Paris, 1950), col 2497-2519 (cite DTC 15); J. D. DU BOIS, «Valentin, Ecole valentinienne», *Dict. de spiritualité* t. 16 (Paris, 1994), col. 146-156 (cité DS 16); M. TARDIEU et J.-D. DUBOIS, *Introduction à la littéraire gnostique*, t. I, Paris 1986. J. RIES. Les recherches sur le Gnosticisme, *Dict. Des Religions* A-K (Paris, 1993) p. 769-776.

(٦) DS 16, col 146.

الذي يقوم بدورٍ مميَّز. هذا الباري[٧]، يجهل أو يتجاهل وجود الإله المتعالي والصالح، الذي هو ينبوع العالم الروحيّ، ويعمل كي تجهله البشريّة. ونفوس البشر التي تمتلك العرفة[٨] صدرت عن هذا الإله الساميّ. جوهرها روحيّ، ولكنّها صارت سجينة العالم المحسوس[٩]. لهذا أرسل الإله المتعالي المخلّص، المسيح، لكي يخلّص هذه النفوس المختارة، ويعيدها من جديد إلى الملء[١٠]، أي إلى العالم الروحيّ. وهكذا ينتج الخلاص من «العرفة» التي ليست نتيجة مشاركة بين نعمة الله وحرّيّة الإنسان، بل وعي باطنيّ للخلاص، ومعرفة مسبقة لنتيجة الصراع بين قوى تتجاوز الإنسان[١١].

لا نستطيع أن نتكلّم على غنوصيّة واحدة، فهناك غنوصيّات. أمّا نحن فنذكر رئيس مدرسة أقام في رومة، وكان له تلاميذ عديدون. هو ولنطينس. يبدو أنّه جاء من مصر، من الدلتا، وطلب الأسقفيّة في رومة بعد أن اشتهر بعلمه وفصاحته. ولمّا عُيّن غيرُه، قطع كلّ رباط بالكنيسة. وهكذا بدأت مدرسته، أو بالأحرى مدرستان ارتبطتا باسمه.

فتبّاعه انقسموا إلى تيّارين كبيرين، لأنّهم اختلفوا في نظرتهم الكرستولوجيّة: المدرسة الغربيّة مع بطليموس ومرقيون[١٢]

---

(٧) هكذا نترجم Démiurge، الذي لا يخلق من العدم، بل يرتّب المادّة الأولى.

(٨) هكذا نترجم Gnose التي هي معرفة باطنيّة.

(٩) نلاحظ تأثير أفلاطون حيث الجسد هو سجن للنفس بحسب العبارة اليونانيّة المعروفة Soma sema (الجسد قبر).

(١٠) Plérôme كلمة يونانيّة (Plerôma) تعني الملء، وفي المسيحيّة، الملء الإلهيّ، أي إنّ البليروما الغنوصيّة هي مجمل الكيانات السطريّة أو الإيونات التي تصدر عن الأب الأوّل وتشكّل معه عالمًا حقيقيًّا من التناسق والوحدة والنور، تجاه الظلمة والقسمة وفوضى العالم المحسوس الذي يتميّز بالنقص والقصور.

(١١) P. HADOT, Gnosticisme chrétien, *Enc. Universalis*, t. 8, p. 787. Voir J.M. SEVRIN, Gnosticisme in *Dict. des Religions*, A-K (Paris, 1993) p. 762-769.

(١٢) HIPPOLYTE, *Philosophumena ou Réfutation de toutes les hérésies, appelé Elenchos*, éd. Wendland, VI, 35 (GCS 26, Leipzig, 1916).

وساكوندوس[١٣]: إعتبروا أنّه كان للمسيح جسد نفسانيّ[١٤] عند ولادته. أمّا المدرسة الشرقيّة، فمثّلها تيودوتس ومرقس وكولارباسوس[١٥]. رأوا أنّ المخلّص كان له فقط جسد روحانيّ[١٦].

أمّا أقدم تلاميذ ولنطينس فكانا ساكوندوس وبطليموس. نعرف بطليموس بشكل مباشر من الرسالة إلى فلورا التي احتفظ بها أبيفانيوس في «باناريون» (٣: ٣-٧)، وبشكل غير مباشر في ردّ إيريناوس على تعليمه.

ماذا نكتشف من شخصيّة بطليموس لدى قراءة الرسالة إلى فلورا؟ نحن أمام فكر واضح ومنهجيّ، يحاول أن يرزّع الصعوبات لئلا يُغفل شيئًا في تحليله، فتوجّهه قواعدُ جليّة تقوده إلى اليقين. وبعد أن يقدّم براهينه، يُنهي كلامه بالقول إنّ مدرسته تلقّت بشكل منتظم التقليد الرسوليّ. والقاعدة هي الحكم على جميع ما يُقال بحسب معيار واحد هو أقوال يسوع وتعليمه. وهو يستعمل هذا المعيار بشكل عقلانيّ من دون أن يأخذ بعين الاعتبار سلطة الكنيسة.

بدأ بطليموس شخصًا مؤمنًا، وإنسانًا صوفيًّا، فقدّم في ما يخصّ الكتاب المقدّس، قواعد رصينة. ولكنّه فيما بعد، أخذ بأقوال ولنطينس حول الإيونات[١٧]. في الواقع، قدّم بطليموس هنا تفسيرًا كتابيًّا، وما تحدّث عن أسرار الإيمان. فهو عاد في ما بعد ليقول إنّ الطبائع وإن لم تكن من جوهر ذاك الذي هو مبدأ الكلّ، الذي هو خالد وصالح، فهي تصدر عنه. هذا الكلام يفتح البابا أمام تعليم حول الإيونات حيث يصدر الواحد عن الآخر، مبتعدًا شيئًا فشيئًا عن المبدأ الكامل[١٨].

---

(١٣) Elenchos VI, 3.

(١٤) Psychykos.

(١٥) *Elenchos* VI, 39-55; IRENEE, *Adv. Haereses* I, 14, 1.

(١٦) Pneumatikos.

(١٧) Eons، في اليونانيّة Aion. دلّ على الزمن الحاضر (أو العالم الحاضر) كما على العالم الآتي أو الأبديّة. أمّا في الغنوصيّة، فاللفظ ينطبق على كيانات (entités) سطريّة (mythiques) صدرت عن ينبوع أخير، فألّفت الملء أو بليروما.

(١٨) *DTC* 15, col 2513-2514.

هنا نصل إلى مرجع مباشر يحدّثنا عن بطليموس. إنّنا نجد في إيريناوس[١٩] عرضًا لتعليم بطليموس. وهو عرض يتوزّع في ثلاثة أقسام متفاوتة. أوّلًا، الطريقة التي بها يتكوّن ملء الثلاثين إيونًا (ف ١). ثانيًا، ما حصل من عمل داخل هذا الإيون (ف ٢-٣). ثالثًا، تسلسل الأحداث التي حصلت خارج الملء كردّة فعل على ما حصل في قلب الملء (ف ٤-٨). نجد في كلّ من هذه الأقسام الثلاثة ذات البنية: الأحداث. ثمّ النصوص الكتابيّة التي يستند إليها «الهراطقة». فهمُّ إيريناوس أن ينزع القناع عن الهرطقة[٢٠].

كيف تكوّن الملء؟ في الأصل، هناك «زوج»[٢١] لا محدود وأزليّ، غير مولود. إنّه اللجة[٢٢] (أو «أبو كلّ شيء») و«الفكر» (أو «النعمة» أو «الصمت»). من هذا «الزوج» الأوّل يُولد «زوج» ثانٍ: «العقل»[٢٣] (أو: «الوحيد»)[٢٤] و«الحقيقة». ومن الثاني يولد ثالث: «الكلمة»[٢٥] و«الحياة». ومن الثالث، يولد رابع: «الإنسان» و«الكنيسة». وهكذا تتكوّن مجموعة أولى من ثمانية إيونات أو «المثمّن»[٢٦] الذي هو أساس الملء كلّه.

وتتواصل الإصدارات[٢٧]. يولد من اللوغوس والحياة عشرة إيونات أخرى[٢٨]: ومن الإنسان والكنيسة اثنا عشر إيونًا[٢٩]. ومن المثمّن

---

(١٩) IRENEE de LYON, *Contre les Hérésies* I, 1-8, SC 264 (Paris, 1979) p. 28-137.

(٢٠) Elenchos: برهان وردّ.

(٢١) Couple. أي: اثنان.

(٢٢) Abyssos Abîme: ما لا نستطيع أن نصل إلى قعره.

(٢٣) Intellect: الفهم وتكوين المعاني.

(٢٤) Monogène: الابن الوحيد.

(٢٥) Logos

(٢٦) Ogdoade: المؤلّف من ثمانية أركان.

(٢٧) Emission

(٢٨) Décade: المعشّر: المؤلّف من عشرة أركان.

(٢٩) Dodécade: الاثنا معشر: المؤلّف من اثني عشر ركنًا.

والمعشّر والاثني معشّر، يتكوّن الملء الإلهيّ أو العالم الروحيّ في تناسقه التامّ. ويُسند هؤلاء كلامهم إلى (لو ٣: ٢٣) الذي يتحدّث عن يسوع حين بدأ حياته العلنيّة وهو ابن ثلاثين سنة، وإلى (مت ٢٠: ١-٧) مع عدد العمّال الذاهبين إلى الكرم[٣٠].

في القسم الثاني يحلّ الاضطراب بالملء. فيرسل الآب المسيح والروح من أجل إصلاح ما خرب. في القسم الثالث، نتعرّف إلى بداية الباري والكون والإنسان ومهمّة «المخلّص» في العالم[٣١].

بعد هذا الكلام على الغنوصيّة، وعلى ولنطينس، وعلى بطليموس صاحب الرسالة إلى فلورا، نقدّم نصّ هذه الرسالة، الذي نقرأه في كتاب إبيفانيوس الذي يتحدّث عن الهرطقات، ويقدّم العلاج إلى المؤمنين[٣٢].

كانت فلورا مسيحيّة تهتمّ بأصل الشريعة. فقدّم بطليموس تفسيره منطلقًا من التعليم المسيحيّ، وميّز في الشريعة ثلاثة أقسام: ما يأتي من الله. ما يأتي من موسى. وما يأتي من شيوخ الشعب. فما يأتي من الله، ينقسم ثلاثة أجزاء (أو مقولات): الجزء النقيّ[٣٣] (الوصايا العشر) الذي أكمله المخلّص (مت ٥: ١٧). الجزء الممزوج بالشرّ والجور (شريعة المثل، سنّ بسنّ) الذي ألغاه المخلّص (نقائض متّى ٥، قيل لكم... أنا

---

(٣٠) ١ + ٣ + ٦ + ٩ + ١١ = ٣٠.

(٣١) IRENEE de LYON, *Contre les Hérésies*, SC 263 (Paris, 1979) p. 116-130.

(٣٢) EPIPHANE de Salamine, *Panarion ou Boîte à remèdes. Migne Grec 41-42*; F. OEHLER, *Corpus Haereseologicum* T. 2-3; Berlin, 1859-1861; K. HOLL, *GCS* 25 (1915) 153-464 (Panarion Haer. 1-33). Voir J. QUASIEN, *Initiation aux Pères de l'Eglise*, t. 3 (Paris, 1963) p. 545-546.
نشير إلى أنّ هذا الكتاب احتوى أوسع درس حول الهرطقات في العالم القديم. إستقى من يوستينوس وإيريناوس وهيوليتس. النصّ الذي يرد هنا، نقرأه في (٣٣: ٣-٧). لهذا، بدأ ترقيم النصّ المترجم مع الرقم ٣.
Voir PTOLEMEE. *Lettre à Flora*, texte, traduction et introd. de G. Quispel, Paris (SC 24) 1949.

(٣٣) Katharos: الصرف، الخالص، الذي لا يمتزج به شيء.

أنا فأقول لكم). الجزء النمطيّ والرمزيّ (الفرائض حول الذبائح والطقوس). يجب أن يُفسَّر تفسيرًا روحيًّا. والسؤال الذي طُرح في البداية حول أصل الشريعة، يجد جوابه في نهاية النصّ: جاءت الشريعة من الإله المشترع، من الباري[٣٤]، لا من الإله المتعالي[٣٥]، ولا من الخصم[٣٦]. مثل هذا التفسير يستند إلى استعمال التقليد الرسوليّ استعمالًا خاصًّا[٣٧]، نجده مثلًا في موشيات إكلمنضوس الإسكندرانيّ[٣٨].

٢ – نصّ الرسالة إلى فلورا

٣ (١) أن لا تكون الشريعة التي أعلنها موسى، يا أختي[٣٩] الصالحة فلورا[٤٠]، غير مفهومة حتّى الآن لدى الكثيرين، لأنّهم لم يتلقّوا معرفة دقيقة للمشترع الحقيقيّ ولا لوصاياه، هذا ما يتّضح لك، على ما أظنّ، حين تعرفين الأواء المتضاربة حولها. (٢) ظنّ بعضهم[٤١] أنّ هذه الشريعة قد أعطاها الله الآب نفسه. وأكّد آخرون[٤٢] في اتّجاه يتعارض كلّ المعارضة، أنّها صدرت عن الخصم، عن إبليس

---

(٣٤) Demiourgos.

(٣٥) Transcendant.

(٣٦) Adversaire.

(٣٧) DS 16, col 149.

(٣٨) CLEMENT, *Stromates VII*, 17, 106, 4.

(٣٩) فلورا أخته لأنّها من أسرته الروحيّة.

(٤٠) أهمل إيفانيوس ما يتعلّق بفلورا. لهذا نجهل هويّة هذه السيّدة ومركز إقامتها. إعتاد الغنوصيّون أن يوجّهوا كلامهم إلى نساء، لأنّهنّ يتقبّلن نظريّاتهم بشكل يفوّق على موقف الرجال. رج باناريون (علبة الأدوية أو الهرطقات) (٣٣/٩: ١).

(٤١) المسيحيّون.

(٤٢) جماعة مرقيون. ولكنّ بطليموس يخطئ في الكلام عليه: يهوه هو المشترع وهو يتميّز عن إبليس. رج ترتليانس، ضدّ مرقيون (١: ٢)؛ إيريناوس، ضدّ الهرطقة (٣/١٢: ١٢). إلّا إذا كان الكاتب يلمّح إلى جماعة كيرو كراتوس، التي كانت بدعة صغيرة تعتبر أنّ إبليس هو خالق العالم إيريناوس، ضدّ الهراطقة (١/ ٢٥: ٤).

المفسد. واعتبروا أيضًا أنّه باري[٤٣] الكون، فقالوا إنّه أبو[٤٤] كلّ شيء وصانعه. (٣) فهؤلاء وأولئك هم في ضلال مبين. وتعارضُ الأوّلين يردّ على تعارض الآخرين والعكس بالعكس. فما نجحت فئة واحدة أن تُدرك حقيقة الموضوع. (٤) فمن الواضح أنّ الشريعة (التي هي ثانويّة)[٤٥] لم يعطها الإله الكامل الذي هو الآب، لأنّها ناقصة وتحتاج أن يكمّلها آخر، وأنّها تتضمّن وصايا لا يمكن أن تتوافق مع طبيعة مثل هذا الإله وفكره. (٥) مقابل هذا، لا يحقّ لنا أن ننسب الشريعة إلى خصم جائر[٤٦]. لأنّها تعارض الجور. هذا كلام أناس لا يرون النتيجة الضروريّة التي نستخلصها من أقوال المخلّص. فقد أعلن مخلّصنا: «كلّ بيت أو مدينة تنقسم على نفسها تخرب». (٦) ثمّ إنّ الرسول[٤٧] سبق فدمّر الحكمة المتقلّبة لدى هؤلاء الكذبة، فأعلن أنّ خلق الكون خاصّ به، وأنّ كلّ شيء كان به، وأنّه ما كان شيء بدونه، وأنّ هذا الخلق هو عمل إله عادل يكره الشرّ، لا عمل إله مُفسد. مثل هذه النظرات لا تشارك فيها عقولٌ محدودة نسيت عناية[٤٨] الخالق فبدت عميًا. لا على مستوى النفس وحسب، بل على مستوى الجسد[٤٩] لهذه الكلمة. (٧) إن لم يسْعَ

---

(٤٣) Démiourgos. رج إكليمنضوس الإسكندراني الموشيات (٣/٣: ١٢).

(٤٤) رج أفلاطون Timée 28c. إعتادت جماعة ولنطس أن تستعمل اسم الآب للكلام على الإله الأسمى أو العقل Nous. ومع ذلك، فالتعليم الباطنيّ يعتبر يهوه «أب» الطبيعة في أسمى ما فيها. إيريناوس، ضدّ الهراطقة (١/٥: ١).

(٤٥) Hepomenos. في ذلك العصر. نشير هنا إلى سطرة ولنطس (حول خلق العالم) التي عرفت ثلاثة كائنات. ذاك هو معنى اللفظ في اللغة الأفلاطونيّة. الحكمة (Sophia) تنتج المادّة التي لا شكل لها. المسيح يجسّد المُثل، ويظهر للحكمة في منفاها، ويعطي شكلًا لكيانها. ويهوه الذي يرتّب المادّة ويسود الكون.

(٤٦) Adikios لا يعرف البرّ، بل يتعامل مع الشرّ. بما أنّ الشريعة تمنعنا من الشرّ، فلا يمكن أن تصدر عن الشرّير. رج الموشيات (٣/٣٥: ٣).

(٤٧) أي يوحنّا. رج (يو ١: ٣): به كان كلّ شيء.

(٤٨) نحن هنا أمام فكر الرواقيّين الذين يعتبرون أنّ البشر يقدرون أن يروا عمل العناية الإلهيّة.

(٤٩) أي: لا في المعنى الرمزيّ وحسب، بل في المعنى الحرفيّ أيضًا.

هؤلاء إلى أن يكتشفوا الحقيقة، فواضح ممّا سبق: لقد فشل ممثّلو هاتين الفئتين، كلّ بطريقته: الأوّلون، لأنّهم لم يعرفوا إله البرّ. والآخرون لأنّهم جهلوا[٥٠] أبا كلّ شيء، الذي كشفه ذاك الذي جاء فعرفه (= الآب) وحده[٥١]. (٨) وهكذا يبقى لنا، نحن الذين نعمنا[٥٢] بمعرفة مضاعفة، أن نعرض عرضًا دقيقًا أصل الشريعة وطبيعة المشترع. ونستخرج براهين كلامنا من أقوال مخلّصنا، التي تقدر وحدها[٥٣] أن تقودنا[٥٤]، بلا عثار، إلى فهم الحقيقة.

٤ (١) يجب-أن نعرف أوّلًا، أنّ هذه الشريعة تتضمّن أسفار[٥٥] موسى الخمسة، التي لم يعلنها كلّها كاتب واحد: لم يعلنها الله وحده. فهي تتضمّن وصايا من أصل بشريّ[٥٦]. فأقوال الربّ تعلّمنا أنّ الشريعة تنقسم ثلاثة أقسام. (٢) يُنسب القسم الأوّل إلى الله ذاته وإلى نشاطه التشريعيّ. والثاني، إلى موسى، لا في ما ألهمه الله ذاته، بل في ما دفعته اعتبارات شخصيّة، فأضاف بعض الوصايا. ويُنسب الثالث إلى شيوخ الشعب الذين أدخلوا، على ما يبدو، منذ

---

(٥٠) لم يجهل مرقيون إله البرّ، بل جهل قيمة برّه. رج ترتليانس، ضدّ مرقيون (١/ ١٢؛ ٢: ١١). ليس يهوه بشرّير، ولكن برّه قريب من الشرّ.

(٥١) إنّ الله لا يكشف نفسه إلّا في المسيح. تلك هي نظرة جماعة مرقيون وولنطينس. رج ترتليانس، ضدّ مرقيون (١: ١٩)، إكلمنضوس، الموشيات (٢: ١١٤).

(٥٢) معرفة الحقيقة نعمة نالها الغنوصيّون، فتُعتوا بالكبرياء الروحيّة، لأنّهم اعتبروا أنّهم وحدهم نالوا هذه النعمة. رج ترتليانس، ضدّ ولنطينس ٢٩. هنا يختلف ولنطينس عن بطليموس. إعتبر الأوّل أنّه نال رؤى شخصيّة كشفت له الحقائق. أمّا بطليموس فتكلّم على تدرّج في تعليم سرّيّ.

(٥٣) تعليم المسيح هو المعيار لصحّة أقوال العهد القديم ولعدم صحّتها. عظات إكلمنضوس المزعومة (٣: ٥٠) (أوساط فلسطين المسيحيّة).

(٥٤) Hodégeisthai: يسوع هو مَن يوجّهنا في الطريق (Hodos). رج (يو ١٤: ٦).

(٥٥) في اليونانيّة Pentateuchos أو الأدراج (اللفائف) الخمسة.

(٥٦) إعتبرت جماعة ولنطينس أنّ البشر أضافوا بعض الأمور إلى أسفار العهد القديم، كما إلى أسفار العهد الجديد. رج إيريناوس ضدّ الهراطقة (٣/ ٢: ٢). فمَن يميّز الحقيقة في نقائها؟ أولئك الذين نالوا العرفة gnosis: gnose في اليونانيّة.

البدء، بعض الفرائض في الشريعة نفسها. (٣) كيف نبرهن عن حقيقة هذه النظرة انطلاقًا من أقوال المخلّص؟ هذا ما ستعلّمونه الآن. (٤) في الجدال حول الطلاق الذي سمحت به الشريعة، أعلن المخلّص لخصومه: «بسبب قساوتكم سمح لكم موسى بأن تطلّقوا نساءكم. في البدء، لم يكن الأمر هكذا. فقد كُتب: وحّد الله هذين الزوجين، وما وحّده الربّ (قال)، لا يحقّ للإنسان أن يفعله»[٥٧]. (٥) بهذا بيّن أنّ هناك شريعة الله التي تمنع فصل المرأة عن زوجها، وشريعة أخرى، شريعة موسى، التي تسمح بفسخ الاتّحاد الزواجيّ، بالنظر إلى قساوة القلوب. (٦) من هذا القبيل، أعطى موسى وصيّة تعارض وصيّة الله. فإنّ «الفصل» يعارض[٥٨] «اللافصل». وإن استعلمنا عن الفكرة التي ألهمت هذه الوصيّة، يبدو أنّ موسى لم يفعل ما فعل من عنده، بل أكرهه ضعفُ البشر الذين توجّهت إليهم الشريعة. (٧) ما استطاع البشر أن يتمتكوا بمشيئة الله التي تمنعهم من طلاق نسائهم، مع أنّ بعضهم كره السكن معهنّ، فراحوا من سيّئ إلى أسوأ بحيث صاروا إلى الدمار. (٨) عندئذ أراد موسى أن يداوي هذه المتاعب التي تهدّد مصير البشر، فاختار في هذه الظروف أهون الشرّين، وأعلن من أجلهم، وبمبادرة منه، شريعة ثانية تتيح لهم الطلاق. وهكذا إن كانوا لا يستطيعون أن يحفظوا الشريعة الأولى، فليراعوا الثانية على الأقلّ، ولا يلجأوا إلى وسائل جائرة وشرّيرة ينتج منها ملء دمارهم[٥٩] الخلقيّ. (١٠)

---

(٥٧) نصّ (متى ١٩: ٤)، ولكنّه لم يرد في حرفيّته.

(٥٨) رفضَ التعليمُ القويم القول بوجود تعارض في الكتاب المقدّس. رج يوستينوس، الحوار مع تريفون ٦٥.

(٥٩) لكلّ إنسان مصير خاصّ به، يختلف فيه عن الآخرين. هناك «الروحيّون» Pneumatikoi، هم مختارون، وقد نالوا نعمة خاصّة. مصيرهم أن يكونوا في «بليروما» (الملء) Plêrôma. والهوليّون (hylikoi) يذهبون إلى الهلاك. والنفسيّون (psychikoi) الذين قد يهلكون لأنّهم يمتلكون إرادة حرّة. اليهود=

تلك كانت الفكرة[٦٠] التي ألهمت هذه الفرائض المعارضة لفرائض الله. فلا جدال في أنّنا برهنّا أنّ هذه الشريعة صدرت عن موسى، وهي تختلف عن شريعة الله، ولو أنّ برهاننا استند فقط إلى مثل واحد. (١١) وأن تكون امتزجت[٦١] بالشريعة تقاليدُ تصدر عن شيوخ الشعب، أمر بيّنه المخلّص أيضًا. قال: «فالله أوصى: أكرم أباك وأمّك لكي تنجح». (١٢) وأضاف متوجّهًا إلى شيوخ الشعب: «أمّا أنتم»، فأعلنتم: «العون الذي كان بالإمكان أن تتقبّلوه منّي هو قربان لله». وهكذا ألغيتم شريعة الله وأخذتم بتقليد خاصّ بكم، يا شيوخ الشعب! (١٣) فقد أعلن أشعيا من قبل: «هذا الشعب يكرّمني بشفتيه، أمّا قلبه فبعيد عنّي! فهم باطلًا يكرّمونني، لأنّهم يعلّمون فرائض هي وصايا بشر»[٦٢]... (١٤) يتّضح من كلّ هذا أنّ الشريعة بمجملها تتألّف من ثلاثة أقسام: فرائض موسى، فرائض شيوخ الشعب، فرائض الله ذاته. وقسمة الشريعة هذه في مجملها، كما ثبّتناها، أوضحت العنصر الصريح الذي يتضمّن الشريعة.

(٥) (١) وهذا القسم الأخير، الذي هو شريعة الله ذاته، يُقسم بدوره إلى ثلاثة[٦٣]: التشريع النقيّ الذي لم يمتزج بالشرّ؛ الشريعة، في المعنى الخاصّ بالكلمة، التي لم يأتِ المخلّص لكي يلغيها، بل ليكمّلها (فتلك التي أكملها لم تكن غريبة عنه، بل احتاجت إلى أن

=الذين يتحدّث عنهم النصّ، هم من هذه الفئة الثالثة. إذن، الهلاك يتهدّدهم (إيريناوس، ضدّ الهرطقة ٤/١٥: ٢).

(٦٠) Gnomè، النيّة.

(٦١) جاءت أمور من لدن إيليس. هذا ما نجده في كرازة بطرس، التي نجدها في العظات الإقليمية المزعومة (٣: ٣٨). يبدو، بحسب إيفانيوس، أنّ الكاتب يشير إلى المشناة-التي تجمع أولى التقاليد الشفهيّة لدى اليهود. رج بولس الفغالي، «التلمود وأدب المعلّمين»، المشرق ٧٤، الجزء الثاني، (تمّوز - كانون الأوّل، ٢٠٠٠) ص ٤٨٨-٤٩٠.

(٦٢) (متّى ١٥: ٥). أورد متّى (أش ٢٩: ١٣).

(٦٣) الشريعة النقيّة، الشريعة الرمزيّة، الشريعة الدنيئة. رج يوستينوس، الحوار مع تريفون ٤٤.

تكمِّل لأنّها لم تكن كاملة)؛ ثمّ الجزء الذي امتزج بالشرّ والجور، الذي ألغاه المخلّص لأنّه لا يتوافق مع طبيعته. (٢) وأخيرًا، نحدّد جزءًا نمطيًّا ورمزيًّا يتوخّى تمثيل الروحيّ والمتعالي، وقد نقله المخلّص من الحسّيّ والظاهر إلى الروحيّ واللامنظور. (٣) أمّا شريعة الله النقيّة والمنزّهة عن كلّ مزيج دنيء، فهي الدكالوغ[٦٤]، تلك الوصايا العشر التي حُفرت على لوحتين، فحرّمت ما يجب أن لا نعمله وأمرت بما يجب أن نعمله. هي وصايا نقيّة، ولكنّها غير كاملة بعد أن احتاجت أن يكمّلها المخلّص. (٤) وبجانب شريعة الله، هناك شريعة يرافقها الجور، شريعة المِثل[٦٥] والعقاب على جريمة اقتُرفت. شريعة تأمر بأن نقلع العين بالعين، ونحطّم السنّ بالسنّ، ونردّ على القتل بالقتل. فمَن اقترف جورًا، ردًّا على جور، هو خاطئ، شأنه شأن الذي بادر واقترف الجور: سيختلف ترتيب صانع الشرّ، ولكنّ الشرّ هو هو. (٥) ولا بدّ من القول بأنّ هذه الوصيّة كانت بارّة، وما زالت، فقد أعطيت بسبب ضعف الذين توجّهت إليهم الشريعة لكي يتجنّبوا تجاوز الشريعة النقيّة. ومع ذلك، فلا نستطيع أن نوفّق هذه الوصيّة مع صلاح أبي الكلّ. (٦) لا شكّ في أنّ هذا كان نتيجة تكيُّف مع الظروف، بل بالأحرى ضرورة لا بدّ منها. فالذي أراد أن يمنع قتلًا واحدًا فأعلن: «لا تقتل». ثمّ أمر بأن يُقتل القاتلُ بدوره، أعطى شريعة ثانية، فصار في مبدأ قتلَيْن، وهو الذي حرّم قتلًا واحدًا. وهكذا اتّضح أنّه كان ضحيّة الضرورة من دون أن يعلم. (٧) لهذا، حين جاء ابنه[٦٦]، ألغى هذا الجزء من الشريعة، مع أنّه أقرّ أنّه صدر هو أيضًا عن الله. واعترافه بالعهد القديم، يظهر في ما يظهر، في ما يلي: «أعلن الله: مَن لعن

---

(٦٤) Dekalogos: الكلمات العشر.

(٦٥) مثلما تعاملني أعاملك. أو «سنّ بسنّ، وعين بعين». يرى مرقيون معارضة مطلقة بين شريعة المثل وفرائض عطة الجبل (متّى ٥-٧).

(٦٦) إنّ الابن الذي جاء من يهوه هو «المسيح النفسانيّ» الذي يتميّز عن الفادي.

أباه أو أمّه، يُقتل قتلًا»[٦٧]. (٨) وأخيرًا، هناك الجزء الرمزيّ، الذي جُعل على صورة الروحيّات والمتعاليات، أي الفرائض المتعلّقة بالذبائح والختان والسبت والصوم وحَمَل الفصح والخبز الفطير... (٩) كلّ هذه الطقوس التي هي صور ورموز، حملت مدلولًا مختلفًا بعد أن كُشفت الحقيقة. هي ألغيت في شكلها الخارجيّ وتطبيقها الحرفيّ، ولكنّها تعمّقت في معناها الروحيّ وفي مدلولها، لأنّ الألفاظ القديمة تلقّت مضمونًا جديدًا. (١٠) أمرَنا[٦٨] المخلّصُ أن نقدّم ذبائح، لا ذبائح حيوانات غير عاقلة، ولا تقدمات بخور، بل مدائح وتسابيح وأفعال شكر روحيّة، والمقاسمة مع القريب والإحسان إليه. (١١) وطلب منّا أيضًا الختان[٦٩]، لا ختان غلفة الجسد، بل ختان القلب الروحيّ. (١٢) وأن نحفظ السبت[٧٠]، لأنّه يريدنا أن نرتاح من أعمال الشرّ. (١٣) وأن نصوم أيضًا. إلّا أنّه لا يطلب منّا صوم الجسد، بل الصوم الروحيّ الذي يقوم بالامتناع عن كلّ شرّ. ومع ذلك، نظلّ نحن متعلّقين بالصوم الخارجيّ، لأنّ حياة النفس تستفيد منه، حين نمارسه بتمييز، لا لنقتدي بالآخرين، أو على سبيل العادة، أو لأنّ يومًا من الأيّام حُدّد لذلك. (١٤) وفي الوقت عينه، تبقى متعلّقين بالصوم لكي نتذكّر الصوم الحقيقيّ[٧١]، بحيث يتذكّره في صوم خارجيّ، أولئك الذين لا يستطيعون أن يمارسوه. (١٥) وأنّ حمل الفصح والخبز الفطير كانا رمزين. هذا ما بيّنه أيضًا بولس الرسول حين قال: «حمل فصحنا، المسيح، ذُبح». وقال: «لكي تكونوا بلا خمير، لا تشاركوا في الخمير (هذا الخمير يعني الشرّ)، بل كونوا

(٦٧) (متى ١٥: ٤)؛ رج (خر ٢١: ١٧).

(٦٨) هذا ما لا نجده في الأناجيل. نقرأ عن الذبيحة الروحيّة في العهد القديم (مز ٤٩: ١٤).

(٦٩) (إر ٤: ٤). رج (روم ٢: ٢٨-٢٩).

(٧٠) متى (١٢: ١٢) رج العوشيات (١: ١٣)؛ الحوار مع تريفون (١٢: ٣).

(٧١) (أش ٥٨: ٦): «الصوم الذي أفضّله: حلّ قيود الشرّ، وفكّ ربط النير».

عجيبًا جديدًا»[٧٢].

٦ (١) إذن، قسمُ الشريعة الذي هو بلا شكّ من الله، يُقسم ثلاثة أجزاء: جزء كمّله المخلّص. فالوصايا «لا تقتل، لا تزنِ، لا تشهد شهادة زور» تُفهم في منع الغضب والشهوة وكلام يرافقه الحلف. (٢) وجزء آخر ألغي كلّه. فالوصيّة «سنّ بسنّ، وعين بعين» التي يرافقها الجور لأنّ عملًا شرّيرًا يتبعها، أحلّ محلّها المخلّصُ وصيّة مغايرة. فالنقيضة المطلقة تلغي النقيضة المطلقة. (٣) «أمّا أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرّير مقاومة. فإن ضربك على خدّك الأيمن، فقدّم له الآخر». (٤) وأخيرًا، هناك جزء من الشريعة، انتقل وتحوّل من المعنى الحرفيّ إلى المعنى الروحيّ: هو الجزء الرمزيّ التي أعطي كصورة عن المتعاليات. (٥) فالصور والرموز التي كانت تمثّل شيئًا آخر، ظلّت مقبولة، في وقت لم تظهر فيه الحقيقة. والآن، وبعد أن كُشفت الحقيقة، ينبغي أن نعمل أعمال الحقيقة، لا أعمال الصورة[٧٣]. (٦) تكلّم تلاميذ يسوع على الأجزاء الثلاثة هذه؛ كما تكلّم بولس الرسول: تكلّموا على الجزء الرمزيّ، كما قلنا حين تحدّثنا عن حمل الفصح الذي ذُبح لأجلنا، وعن الخبز الفطير. وتكلّموا على الجزء الذي يرافقه الجور حين قلنا إنّ شريعة الوصايا صارت بلا جدوى، بسبب تعليم جديد. وتكلّموا على جزء الشريعة الذي خلُص من كلّ جور، حين قالوا: «الشريعة مقدّسة، والوصيّة مقدّسة وعادلة وصالحة».

٧ (١) بقدر ما سمح لي المدى، أظنّ أنّني بيّنت تبيانًا كافيًا، الفرائض البشريّة في الشريعة، وقسمةَ شريعة الله ذاته إلى ثلاثة أجزاء. (٢)

---

(٧٢) (١ كور ٧: ٥). نلاحظ أنّ هرقليون الغنوصيّ، مفسّر إنجيل يوحنّا، قدّم شرحًا استعاريًّا عن حمل الفصح، في الجزء ١٢؛ رج ترتليانس، ضدّ اليهود ١٤.

(٧٣) قال ولنطينس: الصورة أدنى من الحقيقة. رج إكلمنضوس، الموشيات (٤/٨٩: ٦). وربط إيريناوس الصور بالحكمة (سوفيا). رج ضدّ الهراطقة (١/٥: ١).

يبقى علينا أن نقول: مَن هو هذا الإله الذي أعطى الشريعة؟ غير أنّي أعتقد أنّ هذه النقطة توضّحت لكم ممّا سبق، إذا كنتم أعرتموني انتباهكم. (٣) فإن لم يكن الإله الكامل ذاته أعطى الشريعة، كما سبق وقلنا، وإن لم يكن إبليس، وهذا أمر أكيد (بل لا يحقّ لنا أن نقول مثل هذا القول)، فهذا المشترع هو ثالث وُجد بجانب هذين الاثنين الآخرين. (٤) هو الباري[٧٤] وخالق[٧٥] هذا الكون وكلّ ما يتضمّنه. بما أنّه، في جوهره، يختلف عن الاثنين الآخرين، ويقف بينهما، نستطيع بحقّ أن ندعوه الوسيط[٧٦]. (٥) إذا كان الله الكامل صالحًا في جوهره، وهو كذلك (لأنّ مخلّصنا قال إنّ هناك إلهًا واحدًا صالحًا[٧٧] هو أبوه الذي أخبر عنه)، وإذا كان الكائن الذي هو خصم في طبعه، هو شرّير وموصوف بالجور، فذاك الذي يقف بين الله الكامل وإبليس، والذي ليس صالحًا، ولا شرّيرًا أو جائرًا، يمكن أن يُدعى بارًّا لأنّه يحكم[٧٨] في البرّ الذي يرتبط به. (٦) من جهة، يكون هذا الإله أدنى من الإله الكامل، وتحت برّ هذا الإله، لأنّه مولود، لا غير مولود (فهناك واحد غير مولود هو الآب، الذي عنه يصدر كلّ شيء، لأنّ كلّ شيء يرتبط به بطريقته). ومن جهة ثانية، يكون فوق الخصم وأسمى منه. وهكذا يكون، في طبعه، من جوهر آخر ومن طبيعة أخرى، غير جوهر هذين الآخرين. (٧) جوهر الخصم هو فساد وظلام (لأنّه مادّيّ ومنقسم بألف شكل). أمّا الآب الذي هو لا مولود، أمّا أبو الكلّ، فجوهره لا فساد ونور

---

(٧٤) Démiourgos: ذاك الذي رتّب المادّة.

(٧٥) Poiétés: ذاك الذي صنع الكون.

(٧٦) Misotés، رج (١ تم ٢: ٥)؛ (عب ٨: ٦؛ ٩: ١٥). نلاحظ أنّ الغنوصيّين يأخذون كلمات العهد الجديد (المخلّص، القادي) ويعطونها معنى آخر. فالوسيط في المسيحيّة هو إله وإنسان. ولكنّه ليس كذلك في الغنوصيّة.

(٧٧) (متّى ١٩: ١٧): لا صالح إلّا الله (كلام إلى الرجل الغنيّ الذي دعا يسوعَ المعلّمَ الصالح).

(٧٨) هو الليّان. يجازي الخير ويعاقب الشرّ. رج ترتليانس، ضدّ مرقيون (٢: ١٣).

ذاتيّ ومتماسك. أمّا الباري فهو جوهر الله السامي، وإن أوجد قوّة هي قوّة مضاعفة. (٨) والآن، لا تحتاجون أن تقلقوا من أن تعرفوا كيف يمكن أن تتكوّن هاتان الطبيعتان الأخريان[٧٩] من مبدأ كلّ شيء، الذي نعترف به ونؤمن، من مبدأ هو لا مولود، ولا فاسد، وصالح: طبيعة الفساد وطبيعة الوسيط، اللتان هما من جوهر مختلف مع أنّ طبيعة الخير تقوم بإيلاد وإنتاج كائنات تشبهه وتكون من جوهره. (٩) فإن سمح الله بذلك، ستنالون في ما بعد إيضاحات أدقّ حول مبدأهما وولادتهما، حين تُضحون أهلًا لأن تعرفوا تقليد الرسل، وهو تقليد تسلّمناه نحن أيضًا عن طريق التسلسل. وفي هذه الحالة أيضًا تُثبت نظراتنا مستندين إلى أقوال المخلّص. (١٠) لم أملّ من أن أقول لك هذا بإيجاز، يا أختي فلورا. فمع أنّي كنتُ موجزًا في ما سبق، إلّا أنّي عالجت الموضوع معالجة حاسمة. إنّ هذه الملاحظات تستطيع، عندما يحين الوقت، أن تساعدك كثيرًا: فبعد أن تتقبّلي، كما في أرض طيّبة وصالحة ثمار خصب، تُبرزين الثمارَ التي خرجت منها.

٣ - ملاحظات على الرسالة

هذه الرسالة التي تبدو وثيقة مهمّة في العالم الغنوصيّ، عالجت الشريعة اليهوديّة في نظر الديانة المسيحيّة. أقلّه كما نظر إليها التيّار الفلسفيّ والروحيّ هذا، الذي عبّر عنه بطليموس. وها نحن نقدّم في هذا المجال ثلاث ملاحظات.

أ - طابع هذه الرسالة

قلنا إنّ بطليموس كان من مدرسة ولنطينس في خطّها الغربيّ. أقام في رومة، وقد يكون هناك عرف فلورا التي كانت إحدى سامعاته اللواتي كان الغنوصيّون يفضّلون التحدّث إليهنّ، ويفضّلونهنّ على الرجال. فلورا

(٧٩) سؤال مقلق حول أصل الشرّ. رج إيفانيوس، بانواريون (٢٤/٦: ١).

امرأة مسيحيّة بدليل معرفتها للكتاب المقدّس، وقبول الشرح الذي يقدّمه بطليموس. وقد رغبت في أن تسمع شيئًا حول الشريعة التي هاجمها مرقيون[٨٠] ودافع عنها يوستينوس[٨١].

كان باستطاعة بطليموس أن يقدّم جوابًا سريعًا فيقول: الشريعة (ومثلها العهد القديم) نفسانيّة (بسيخيكوس)، شأنها شأن إله اليهود. وكلّ ما هو نفسيّ هو رمز عن العالم الروحيّ (بنفماتيكوس). ولكن اللافت هو أنّ لفظ «بسيخيكوس» الذي يميّز لغة ولنطينس، لا يرد في هذه الرسالة. فالكاتب يفضّل استعمال ألفاظ خلقيّة قريبة من مفهوم تلك التي يكتب إليها. ذاك كان نهج الحلقات الولنطينيّة، على ما يقول ترتليانس: «لا يسلّمون تعليمهم، حتّى لتلاميذهم، قبل أن يربحوهم كلّيًا. فلا يخلو نهجهم من براعة: هم يقنعون قبل أن يعلّموا»[٨٢]. من أجل هذا، فالرسالة إلى فلورا ليست وثيقة غنوصيّة في المعنى الحرفيّ للكلمة، بل مقدّمة إلى الغنوصيّة.

تبدأ هذه الرسالة فتحدّد موقف الكنيسة وموقف مرقيون.

نسب المسيحيّون الشريعة إلى الله، والكربوكراتيون[٨٣] إلى إبليس[٨٤]. إعتبر بطليموس أنّ الكنيسة أخطأت حين قالت إنّ الله الكامل هو الذي أعطاها، مع أنّها ناقصة. نحن هنا أمام اعتراض أساسيّ في خطّ النظرة إلى العهد القديم من الوجهة الغنوصيّة. أمّا مرقيون وتلاميذه، فشجبهم بطليموس بقساوة، لأنّهم ينسبون الشريعة إلى إبليس. فيهوه الذي خلق الكون وأعطى الشريعة، هو إله شرّير، كما يقول مرقيون.

---

(٨٠) بولس الفغالي، «مرقيون والتعامل مع الكتاب المقدّس»، المسرّة ٨٦ (٢٠٠٠)، ص ٣٨٥-٤٠٨.

(٨١) كتاب ضاع *Syntagma ou Traité contre toutes les hérésies*. ولكن ذكره يوستينوس في دفاعه الأوّل (٢٦: ٥) وأوسابيوس القيصريّ في التاريخ الكنسيّ (٤/ ١١: ١٦).

(٨٢) ضدّ ولنطينس ٢١ SC 280, p. 127.

(٨٣) Carpocratiens-جماعة كربوكراتوس، ابن الإسكندريّة.

(٨٤) إيريناوس، ضدّ الهراطقة (١/ ٢٥: ٤). SC 264, p. 338-341.

شوّه بطليموس بعض الشيء فكر مرقيون[٨٥]. غير أنّه أعلن في ما بعد أنّ الباري الذي أعطى الشريعة ليس صالحًا ولا شرّيرًا، بل هو عادل. هذا يعني أنّه لم يكن بعيدًا عن موقف مرقيون وإن ضخّم هذا الموقف.

هذا ما يتيح لبطليموس أن يقدّم برهانًا يقول: لا يمكن أن تكون الشريعة شرّيرة، لأنّها تمنع الأعمال الشرّيرة[٨٦]. كما يتيح له أن يطبّق فكرة مسبقة على وضع تاريخيّ محدّد. إقتنع كاتب الرسالة أنّ الشريعة لم يعطها إله كامل، ولم يكن إبليس ولا الهيولى في أصلها[٨٧]. وهكذا ابتعد عن الكنيسة كما ابتعد عن المرقيونيّة.

أخطأت الكنيسة لأنّها لا تعرف الإله المتعالي. وأخطأ المرقيونيّون لأنّهم لا يعرفون يهوه. ومع ذلك، فإنّ بطليموس لا يبدو بعيدًا جدًّا عن مرقيون. كلاهما شدّدا على تعالي الله في تعارضه مع «العالم»، وقالا إنّ المخلّص هو الذي حمل هذا الوحي. وكلاهما اعتبرا يهوه إلهًا وثنيًّا، لأنّه الخالق والمشترع الذي لا صلاح فيه: يهوه تجسيم خارجيّ للعالم الملموس. ولكن بطليموس ابتعد بعض الشيء عن مرقيون حين اعتبر أنّ يهوه اهتدى إلى المسيح وقام بحماية الكنيسة[٨٨]. أتراه حاول الاقتراب من التعليم الكنسيّ؟ ربّما.

ب – طريقة التفسير

يعتبر بطليموس أنّه يستطيع أن يفسّر شريعة موسى، لأنّه نال

---

(٨٥) نشير هنا إلى أنّ بطليموس شوّه فكر مرقيون: هو لم ينكر يهوه، بل يجعله خيّرًا يطلب الانتقام ويفعل الشرّ. رج ترتليانس، ضدّ مرقيون (٢: ١١). رج SC 368, p. 78-85. هكذا بسّط إيريناوس (ضدّ الهراطقة ٣/ ١٣: ١٢) وهيوليتوس (*Elenchos* VI, 29) نظرة مرقيون، فاعتبرا أنّه يرى في يهوه مبدأ الشرّ.

(٨٦) رج ما قاله إكليمنضوس الإسكندرانيّ في الموشيات (٣/ ٣٥: ٣)، حين ردّ على المهاجمين على العهد القديم: «إذا كانت الوصيّة التي تمنع الأعمال الشرّيرة، هي شرّيرة، فالشرّ يعطي شرائع تعارض ذاته، وهذا مستحيل».

(٨٧) Hylé المادّة الأولى التي هي شرّيرة.

(٨٨) إيريناوس، ضدّ الهراطقة (١/ ٧: ٤). SC 264, p. 103-111.

«العرفة»[٨٩]. أمّا خصومه فلا يستطيعون لأنّهم لا يمتلكون «العرفة». ما هو هذا المبدأ الذي يكفل وحده التفسير الصحيح؟

حين نتحدّث عن «العرفة»، نفكّر في الوحي والسرّ. كما نفهم أنّ العرفة ليست ملكة بشريّة، ولا تُولد مع الإنسان، بل هي إلهيّة. هي موهبة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالروح[٩٠] المتعالي. لقد ميّز الولنطينيّون بين «الروح» البشريّ، الذي أصله سماويّ، والذي لا يستطيع بقواه الخاصّة أن يعود إلى وطنه السماويّ، و«الروح» الإلهيّ (المسيح وملائكته) الذي كشف «العرفة» للمختار.

لا يتوقّف بطليموس مطوّلًا على طبيعة «العرفة»، بل يلاحظ أنّها تتعلّق بالإله المجهول والباري. وهو يعلن أنّه يستطيع أن يشرح ولادة يهوه وأصل الشيطان، لأنّه نال التقليد الرسوليّ. نحن هنا أمام تقليد سرّيّ محفوظ حصرًا للمتدرّجين، وهو يعود إلى المؤسّس. هو رسوليّ، لأنّ ولنطينس ورثه من تودا، تلميذ بولس[٩١]. بما أنّ هذا التقليد يعالج الكوسمولوجيا (علم الكون) والسقطة الأصليّة، فيجب أن نعرف التعليم الماورائيّ كي نقدر على شرح الشريعة الموسويّة.

في هذا الإطار، يعلن بطليموس أنّ الشريعة تتضمّن إضافات بشريّة[٩٢]. فإنّ موسى كيّف فرائضها مع قساوة قلب معاصريه. في الواقع، رفض الولنطينيّون تقليد شيوخ بني إسرائيل في القديم، كما رفضوا تقليد الشيوخ في الكنيسة[٩٣]. فهم يمتلكون «العرفة» السرّيّة، التي تُتيح لهم، بعد أن يتدرّجوا، أن يرتفعوا فوق كلّ سلطة، فوق موسى، فوق رسل

---

(٨٩) La gnose.

(٩٠) Pneuma.

(٩١) إكلمنضوس، الموشيات (٧: ١٠٦).

(٩٢) قال إيريناوس (ضدّ الهراطقة ٣/ ١: ٢) شيئًا مماثلًا: «يهتمّ الولنطينيّون بالكتب المقدّسة، لأنّ بعض المقاطع ليست صحيحة، بحيث يستحيل على الذين لا يعرفون التقليد السرّيّ، أن يجدوا الحقيقة في البيليا». SC 211, p. 26-29.

(٩٣) إيريناوس، ضدّ الهراطقة (٣/ ٢: ٢).

المسيح. هكذا استطاعوا أن يميّزوا في نبوءات العهد القديم، العناصر الروحانيّة والمركّب الهيوليّ، والمركّب البشريّ والمركّب الإلهيّ. وطبّق بطليموس هذا الكلام على الشريعة. واستند بطليموس إلى التقاليد اليهوديّة والمسيحيّة ليقول إنّ الشريعة حول الطلاق ليست من أصل إلهيّ. وما نقوله عن إضافات جعلها موسى، نقوله بالأحرى عن إضافات وضعها الشيوخ كما هو الأمر في المشناة[٩٤] التي دوّنت في القرن الثاني ب.م. وبعد ذلك تدرس الرسالة إلى فلورا، الشريعة الإلهيّة المؤلّفة من ثلاثة أقسام: الشريعة الدنيا، الشريعة الرمزيّة، الشريعة النقيّة. أمّا الشريعة النقيّة فهي الدكالوغ أو الوصايا العشر. وقد أكملها المخلّص، لأنّها ليست غريبة عنه. والقسم الثاني من الشريعة هو شريعة الانتقام، ومعاملة مَن أساء إلينا مثلما عاملَنا. غير أنّ هذه الشريعة يرافقها الجور دائمًا، لأنّ مَن يعمل عملًا سيّئًا ليردّ على عمل سبقه، لا يختلف عن الذي بدأ وعمل. والشريعة الثالثة تتوقّف على الاحتفالات الليتورجيّة والطقوس التي يمارسها الشعب اليهوديّ.

ج - خاتمة الرسالة

جاءت الوصايا العشر ناقصة، فكمّلتها عظة الجبل. أمّا شريعة الانتقام بالمثل فقد أُلغيت. والشريعة الرمزيّة ارتدت مدلولًا روحيًّا حميمًا. هذا يعني أنّه لم يعد من قيمة لشريعة موسى كلّها. فما ألهم الدكالوغ هو «البذرةُ الروحيّة»[٩٥]. والإله الذي أعطى شريعة المثل كان إلهًا دنيئًا. والشريعة الرمزيّة تصدر عن إله سقط عن عرشه.

---

(٩٤) مجموعة أقوال ارتبطت بالتوراة الشفهيّة، وجمعها من التقليد رابي يهودا هاناسي، ربح حاشية ٦١.

(٩٥) Sperma pneumatikon هو الذي ألهم الدكالوغ وبعض أجزاء العهد القديم. وهذا ما يجعلنا نميّز ما في العهد القديم وما في العهد الجديد. الشريعة نقيّة ومعها بعض المقاطع النبويّة، بعد أن ألهمتها البذرة الروحيّة (التي ليست كاملة). أمّا في أسمى نصوص الإنجيل، فالمخلّص (Sôtêr) هو الذي تكلّم. إذن، هناك اختلاف على المستوى الروحيّ: فمعرفة الله المطلقة لا تتكشّف إلّا في أقوال المسيح.

يتّج من كلّ هذا أنّ المشترع ليس صالحًا ولا شرّيرًا. هو عادل. إنّما يبقى التعارض حاضرًا بين الخلق والفداء، الذي لم يجد له جوابًا. ولكن يبدو أنّ بطليموس عمل عمل المربّي، مع امرأة يوجّه إليها رسالته: هي مسيحيّة، وهي تعرف أنّ إبليس شرّير والله صالح. مثل هذه المرأة تفهم تعليم مرقيون كما يلي: الشريعة تعارض الإنجيل. والبرّ يعارض الصلاح. ولكنّها لا تقدر أن تفهم أنّ الله «لجّة» و«صمت»، وروح محض يتجاوز عالم المُثل. وأنّ الباري وإبليس اللذين يجسّدان تجسيدًا رمزيًا الطبيعة السامية والطبيعة الدنيئة، يُولدان من ألم سوفيا (الحكمة). تلك هي نظرة ولنطينس التي يتركها بطليموس جانبًا، ليشدّد على أنّ الباري هو صورة الآب، وبه خلق السماوات والأرض، أي السماويّات[٩٦] والأرضيّات[٩٧]، وهكذا تكون القوّة المضاعفة[٩٨] الطبيعة السامية والطبيعة الدنيئة.

٤ – خاتمة عامّة

وهكذا نظرنا سريعًا إلى العالم الغنوصيّ، ولا سيّما إلى ولنطينس وبطليموس، قبل أن نتوقّف على رسالة أرسلها بطليموس إلى سيّدة مسيحيّة من رومة، اسمها فلورا. رسالة قصيرة ترد في بضعة مقاطع في كتاب إبيفانيوس، أسقف سلاميّة (قبرص) حول الهرطقات والداء الناجع للشفاء منها. وجدنا في هذه الرسالة نقطة الانطلاق مع ولنطينس، ولكن بطليموس تحرّر بعض الشيء من تأثير معلّمه لكي يقدّم تعليمًا «راعويًا»، تعليمًا يراعي الشخص الذي يكتب إليه. لهذا ترك الأمور الماورائيّة والصوفيّة، وتوقّف على السؤال الذي يشغل بال هذه المرأة التي لجأت إليه. فجاء جوابه بسيطًا في خطّ الغنوصيّة، ولكنّه بدا متماسكًا. فبيّن دور يهوه الذي خلق الشريعة ودور المخلّص الذي جاء وكمّلها، وفي النهاية

(٩٦) Psychikè: ما يتعلّق بالنفس.

(٩٧) Hylikè: ما يتعلّق بالجسد والمادّة.

(٩٨) Ditte dynamis: قوّة هي في الواقع قوّتان.

ألغاها حين أعلن الأقوال الإنجيليّة. وهكذا ابتعد بطليموس عن الموقف المسيحيّ الذي يرى في شريعة العهد الجديد امتدادًا لشريعة العهد القديم، وعن موقف مرقيون الذي يرى الشرّ في شريعة العهد القديم كلّها، بحيث يرفض العهد القديم ويرفض معه أسفار العهد الجديد التي ترتبط من قريب أو بعيد بكتاب التوراة والأنبياء.